الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف المسيلة
مخبر الشعرية الجزائرية

استمارة المشاركة

-اسم الباحث(ة): عمر
-لقبه: مختاري
-المؤهل العلمي: السنة الثالثة دكتوراه
-الرتبة: طالب دكتوراه
-القسم: اللغة والأدب العربي
-التخصص: اللسانيات واللغة العربي
-الكلية(المعهد): كلية اللغة والأدب العربي والفنون
-الجامعة: جامعة الحاج لخضر باتنة01
-المدينة: المسيلة
-البلد: الجزائر
-الهاتف: 0792355052
- البريد الإلكتروني: Mokhtari.amar28@gmail.com

-محور المشاركة (الثاني): علم اللغة الحديث وتحليل الخطاب

-عنوان المشاركة : أهم التصورات التداولية تجاه النص أو الخطاب الأدبي

-الملخص:(350كلمة)

الملخص :

لقد تعددت وجهات النظر وزواياه في تحليل النصوص الأدبية في العصر الحديث، فلا تقف عند حدود ضيقة، فمن أحدث المناهج التي تهتم بتحليل النصوص الأدبية وتستند إلى اللسانيات هو التداولية.

إنه لمن الممتع حقًا أن نحلل نصًا ما بالوقوف على إجراءات المنهج التداولي، نظرًا لما توفره لنا التداولية من إجراءات، بعدمَا استطاع منظرون أمثال" **أوستين وسيرل وجرايس وبنفنيست**" أن يفتحُوا أفاقًا جديدة وسبلًا واسعًا في النظر إلى اللغة، بالخروج من الفخ الذي سقط فيه البحث اللغوي البنيوي، وقامُوا بإدراج أبعاد جديدة تم اقصاؤها لأسباب تاريخية استيمولوجية من البحث اللساني .

لهذا لم يعد التيار البنيوي والتوليدي في أيامنا، هما التيارين الوحيدين الذين يهيمنان على ساحة الدراسات اللسانية، فقد أفرزت المعرفة المعاصرة نظريات ومفاهيم لغوية متباينة في الأسس المعرفية، انبثقت عنها تيارات لسانية جديدة منها التيار التداولي الذي يعد من أنجع المناهج لدراسة وتحليل النص الأدبي بصفة عامة والخطاب الحجاجي بصفة خاصة .

ويندرج تناولنا لهذا الموضوع في إطار تطبيق النظريات اللسانية المعاصرة على الخطاب الأدبي، ومن هنا يتضح أن المقاربة التداولية تدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من "**الخطاب**" رسالة تواصلية "واضحة " " وناجحة " والتركيز على أفعال الكلام وكذَا على عنصر المقصدية والوظيفة في النصوص والخطابات.

لقد تجاوزت التداولية حدود اللغة لتنتقل إلى مجال الأدب وتتحول إلى ما يسمى بالتداولية الأدبية التي تمثل مقاربة لدراسة الخطابات وتحليلها.

وبهذا يكون مجال المقاربة التداولية محددًا في ما وراء البنية النصية متجاوزة النص كبنية مغلقة لا تحيل على ذاتها، وتستند في شكلها والتحامها وتماسكها على امكانياتها وطاقاتها الداخلية " **الصوتية والصرفية والتركيبية** " إلى " **الخطاب** " كبنية منفتحة على سياقات خارجية في علاقة تفاعلية مستمرة، وقد توصلت البحوث التداولية إلى إرساء مفاهيم ومقولات أساسية في مجال تحليل الخطاب.

الكلمات المفتاحية: التداولية : مفهومها، تصوراتها تجاه النص أو الخطاب الأدبي.

مقدمة :

يقصد بالمقاربة التداولية تلك النظرية النقدية التي تدرس الظواهر الأدبية والثقافية والفنية والجمالية في ضوء التداوليات اللسانية، ويعني هذا أن المقاربة التداولية تدرس النص أو الخطاب الأدبي في علاقته بالسياق التواصلي، والتركيز على أفعال الكلام، واستكشاف العلامات المنطقية الحجاجية، والاهتمام بالسياق التواصلي والتلفظي، وبتعبير آخر، تركز المقاربة التداولية على عنصر المقصدية والوظيفة في النصوص والخطابات. وبهذا، تكون التداوليات قد تجاوزت سؤال البنية وسؤال الدلالة، لتهتم بسؤال الوظيفة والدور والرسالة والسياق الوظيفي. كما تعنى المقاربة التداولية بفهم العلاقات الموجودة بين المتكلم والمتلقي ضمن سياق معين، لأن البعد التداولي ينبني على سلطة المعرفة والاعتقاد. وتسمى هذه المقاربة كذلك بالمقاربة التواصلية، أو المقاربة الوظيفية، أو المقاربة الذرائعية، أو المقاربة المنطقية، أو المقاربة البراجماتية، أو المقاربة الحجاجية...الخ.

وإذا كانت المقاربة التداولية قد عرفت انتشارًا في الغرب، فإن هذه المقاربة مازالت في بداياتها الأولى في العالم العربي، على الرغم من وجود آثارها في تراثنا العربي القديم في البلاغة والفقه والفلسفة وأصول الفقه...، ولم يتم استد ماجها بعد في حقلنا الثقافي العربي الحديث والمعاصر لمقاربة النصوص والخطابات الأدبية والإبداعية، ماعدَا بعض الاستثناءات القليلة التي تعد على الأصابع.

ولئن انصرفت البحوث التداولية في البداية إلى الاهتمام بالنصوص الأدبية التي تتلاءم مع منهجها وهي النصوص التي تنتمي إلى الأجناس" **البسيطة** " أو الثانوية باعتبارها نصوصًا قريبة من المخاطبات العادية التي يطغى عليها البعد التواصلي البراغماتي، ولا سيما الرسائل بمختلف أجناسها، إلا أن التداوليين قد وسعُوا بعد ذلك مجال اهتمامهم ليشمل نصوصًا أدبية متنوعة، وظهرت دراسات تداولية تنظر للخطاب الأدبي عامة وتعيد طرح قضاياه المعروفة من وجهة نظر مغايرة، أو تتناول نصوصًا أدبية مختلفة بالتحليل والتأويل.

ولا يخفى أن التداولية باعتبارها منهجًا في التحليل الأدبي وجدت معارضة من طرف البنيويين والأسلوبيين والإنشائيين بسبب مخالفتها لهذه المناهج في التعامل مع النص الأدبي، والاعتراض على المنوال التداولي في تحليل الخطاب الأدبي هو اعتراض على ما بين الموضوع والمنهج من تعارض.

وقد اتجهت جهود التداوليين لتجاوز هذا التعارض(أو التخفيف من حدته) اتجاهين في آن واحد:

– اتجاهًا يسعى إلى تقريب المنهج التداولي من النص الأدبي، وذلك بالتعديل في مفاهيمه وأدواته وتطويعها لتلائم خصوصية الخطاب الأدبي، وبالوقوف على المعطيات اللسانية والبلاغية أو الانطلاق منها في التحليل.

– واتجاهًا يسعى إلى تقريب النص الأدبي من المنهج التداولي، وذلك بتغيير النظرة السائدة إلى الأدب (باعتباره خطابًا بلا مرجع ولا سياق مثلًا).

أهمية الدراسة :

يعتبر هذا الموضوع من أكثر المواضيع التي لاقت اهتمام الكثير من الباحثين والمختصين في هذا المجال، ومن الدوافع الحافزة على الاهتمام بالمقاربة التداولية للخطاب الأدبي، أنها لم تقصر اهتمامها على مجال الدراسة اللغوية وتحليل الخطاب في مستوى الاستعمال العادي أو التواصلي، بل وسعت من مجال اهتمامها ليشمل تحليل الخطاب الأدبي، وعملت على تطوير مفاهيمها النظرية وأدواتها التحليلية لتوائم هذا " **الاستخدام** " المخصوص للغة.

أهداف الدراسة :

تسعى دراستنا إلى تحقيق جملة من الأهداف منها :

-توضيح مفهوم المقاربة التداولية .

- بيان علاقة التداولية بالنص الأدبي.

- إبراز مجمل التصورات التداولية تجاه النص أو الخطاب الأدبي.

إشكالية الدراسة :

استنادًا إلى هذا الطرح، يكون البحث منطلقًا من التساؤلات التالية :

- ما لمقاربة التداولية ؟ وما مجمل التصورات التداولية تجاه النص أو الخطاب الأدبي ؟

- وما مدى فعالياتها ونجاعتها في الكشف عن المعاني المختلفة باختلاف ألوان الخطاب وأطيافه ؟

منهج الدراسة :

لقد تطلب هذا البحث استخدام المنهج الوصفي التحليلي، سعيًا من خلاله الوصول إلى إجابات مقنعة للأسئلة المطروحة والمنبثقة من إشكالية هذا البحث، وهو المنهج الذي يتناسب مع هذا النوع من الدراسات، والذي يقوم على وصف الظاهرة وتحليلها، وذلك لأن الوصف هو عماد الدراسات اللغوية الحديثة ومن بينها اللسانيات التداولية.

وفي الأخير أنهيت البحث بخاتمة كانت عبارة عن مجموعة من النتائج التي تم التوصل إليها.

أولا : مفهوم المقاربة التداولية

من المعلوم أن المقاربة التداولية هي تلك المنهجية التي تدرس الجانب الوظيفي والتداولي والسياقي في النص أو الخطاب، وتدرس مجمل العلاقات الموجودة بين المتكلم والمخاطب، مع التركيز على البعد الحجاجي والإقناعي وأفعال الكلام داخل النص . بمعنى أن التداوليات هي ذلك " العلم الذي يدرس المعنى، مع التركيز على العلاقة بين العلامات ومستعمليها والسياق، أكثر من اهتمامها بالمرجع أو بالحقيقة، أو بالتركيب ".[1]

وتهتم التداوليات أيضا بالمرجع والإحالة التي تم إقصاؤها من فر ديناند دوسوسير الذي حصر العلامة في الدال والمدلول. ومن ثم، ترفض المقاربة التداولية في مجال الأدب والنقد التركيز على البنيات الشكلية والجمالية، دون مساءلة أفعال الكلام

والمقصدية الوظيفية. فضلا عن ذلك، تدرس المقاربة التداولية اللغة العادية واللغة اللاعادية (اللغة الشعرية، اللغة الروائية، واللغة الدرامية...)، وحضور الأنا والأنت، والسياق التواصلي والوظيفة المقامية والمقالية، والانتقال من الحرفي إلى الإنجازي ودراسة الحجاج في النصوص والخطابات التي يكون هدفها هو الإقناع الذهني والتأثير العاطفي الوجداني، وأيضًا دراسة السرد الإقناعي كما عند" **غريماس**" ، وخاصة في خانة التطويع والتحفيز المبنية على فعل الاعتقاد، وفعل التأويل، وخانة الكفاءة المبنية على منطق الجهات (وجود الفعل، ومعرفة الفعل وقدرة الفعل، وإرادة الفعل) .

وعليه، فالمقاربة التداولية هي دراسة العلامات في علاقة مع مستعمليها. ومن ثم ، ترتكز اللغة على ثلاثة مكونات ضرورية ومتكاملة حسب" **شارل موريس**"، هي: التركيب، والدلالة، والوظيفة. أضف إلى ذلك، فاللغة ثلاثة مظاهر : مظهر خطابي، ومظهر تواصلي، ومظهر اجتماعي.

[2] لذا، فالمقاربة التداولية هي التي تركز على الجانب التواصلي في اللغة الطبيعية.

ثانيا : التداولية والنص الأدبي

استفادة النص أو الخطاب الأدبي من مجموعة من المقاربات والنظريات والمناهج، خاصة بعد مرحلة ما بعد الحداثة بين ، ومن أهم هذه المقاربات التي انفتح عليها الأدب بصفة عامة، [3]سنوات الستين والسبعين من القرن العشرين الميلادي والبلاغة بصفة خاصة، المقاربة التداولية بكل تياراتها الحجاجية، والمنطقية، واللغوية، والتخاطبية، والتداولية، والسياقية. ومن ثم، فثمة تصورات تداولية عدة حول النص والخطاب الأدبي تختلف من تيار الى آخر، ومن تداولي إلى تداولي آخر.

إذًا ما مجمل هذه التصورات التداولية التي استفادة منها النص الإبداعي بصفة خاصة، والخطاب الأدبي والفني بصفة عامة ؟ هذا ما سنعرفه بشكل جلي في العناصر التالية .

ثالثا: مجمل التصورات التداولية تجاه النص أو الخطاب الأدبي

1-النص الأدبي خطاب قبل كل شيء :

إذا كانت اللسانيات تتعامل مع الجملة باعتبارها منطلقًا للدراسة والتحليل، سواء أكان ذلك في منظور البنيوية الوظيفية أم في منظور الكلوسيما تكية " **لهلمسليف** " أم في منظور التوزيعية (**بلومفيلد، وهوكيت**...)، أم في منظور التوليدية التحويلية مع" **نوام تشومسكي**"، فإن المقاربة التداولية تتجاوز الجملة لدراسة الخطاب والنص، وخاصة مع ، [4]لسانيات النص واللسانيات الوظيفية كما عند" **فان ديك**" – مثلا- في كتابه (**النص والسياق**) (1977م) **وهاليداي وحسن رقية** في كتابهما (**الاتساق في اللغة الإنجليزية**)(1976م).

ويعني هذا أن التداوليات النصية تعاملت مع الخطاب ككلية عضوية متسقة ومنسجمة، بل اعتبرته جملة نصية كبرى، يمكن التعامل معها كالتعامل مع الجملة اللسانية.

ونجد هذا التصور كذلك عند إميل بنفنيست، وهاريس، ورومان جاكبسون، والسيميائيين (كريماس)، والتأويليين (بول ريكور)، وجمالية التلقي(ياوس وآيزر)...الخ.

وبناء على ما سبق، تتعامل التداولية مع النص الأدبي، باعتباره خطابًا وملفوظًا لغويًا ذا كلية عضوية، سواء أكان ذلك الخطاب شفويًا أم كتابيًا، حيث نربط ملفوظاته بالوظيفة، والسياق المقامي، والأداء الإنجازي، وندرس مكوناته التلفظية السياقية، وروابطه الحجاجية المنطقية وغير المنطقية، ونربطه أيضًا بالحوارية، والمقصدية، والإحالة، والتفاعل، والتخاطب التداولي.[5]

2-النص الأدبي خطاب لغوي وظيفي :

من المعلوم أن فرديناند دو سوسير، في كتابه(**محاضرات في اللسانيات العامة**) الذي نشره سنة 1916م، قد اعتبر فيه اللغة عبارة عن علامة، وتتكون هذه العلامة من الدال الصوتي والمدلول المعنوي، لكنه أبعد المرجع الحسي المادي، واحتفظ بما هو مجرد وصوري. ومن ثم، فقد كان يدرس اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها. ويعني هذا أنه كان يركز على دراسة اللغة باعتبارها ملكة اجتماعية أساسية وثابتة، ويقصي الكلام باعتباره ظاهرة فردية متغيرة وهامشية. ويدل هذا كله على أن دو سوسير لم يهتم بالسياق المرجعي الوظيفي، واكتفى بالجانب الصوتي والمعنوي المرتبطين باللغة، ولم يهتم بالكلام والإنجاز القائمين على البعد المرجعي والإحالي والسياقي.[6]

ويساعدنا هذا كله على التعامل مع النص الأدبي باعتباره خطابًا يحمل في طياته وظائف ومقاصد سياقية، فكل ما يوجد في النص يدل بشكل من الأشكال، ويحيل على أدوار تداولية ومقاصد مباشرة وغير مباشرة، فليس هناك في النص الأدبي ما هو مجاني وزائد، بل ترتبط الدلالة بالمعاني السياقية والرسائل الظاهرة والمضمرة. بمعنى أن لغة النص الأدبي وظيفية وتداولية، تحمل في مظانها أبعادًا سياقية سياسية، واجتماعية، واقتصادية، وثقافية، وتاريخية، ونفسية، وجنسية، وعقائدية.. أي : لم يعد النص الأدبي علامات وبنيات داخلية مغلقة، كما كانت تقول البنيوية اللسانية والسيميائيات، بل النص الأدبي بنية ودلالة وتركيب ووظيفة سياقية قبل كل شيء.

لذا لابد من مراعاة السياق والوظيفة في تحليل النصوص والخطابات الأدبية، ولا سيمَا الشعرية منها.[7]

3-النص الأدبي إبلاغ وتواصل :

ترى المقاربة التواصلية أن النص الأدبي يرتكز على مجموعة من الوظائف وأهمها الوظيفة التواصلية. وخير من يمثل هذا التيار التواصلي الذي يرى النص الأدبي إبلاغًا وتواصلًا، نذكر: رومان جاكبسون الذي تحدث، في مقاربته التواصلية الوظيفية، عن ستة عناصر في عملية التواصل: المرسل ووظيفته انفعالية، والمرسل إليه ووظيفته تأثيرية، والرسالة ووظيفتها جمالية، والمرجع ووظيفته مرجعية، والقناة و وظفتها حفاظية وتواصلية، واللغة ووظيفتها وصفية تأويلية وتفسيرية.

وقد تأثر جاكبسون في هذه الخطاطة التواصلية بأعمال فرديناند دو سوسير، وأعمال الفيلسوف المنطقي اللغوي جون أوستين .

وهناك من يزيد الوظيفة السابعة للخطاب اللساني، وهي الوظيفة الأيقونية كما عند السيميائي" ترنس هوكس" بعد ظهور كتابات جاك دريدَا، وانبثاق السميوطيقا التواصلية. كما يضيف" عبد الله الغذامي" الوظيفة الثقافية في إطار النقد الثقافي الذي يدافع عنه عربيًا.

أما هاليداي التداولي، فيركز على ثلاث وظائف للغة : الوظيفة التمثيلية (الإحالة على العالم الداخلي والخارجي للذات المتكلمة)، والوظيفة التعالقية (اتخاذ دور من الأدوار الاجتماعية بالنسبة للمخاطب كدور المخبر، ودور السائل، ودور الآمر)، والوظيفة النصية (تنظيم الخطاب حسب مقتضيات مقام إنجازه). وهذه الوظائف الثلاث مستقلة، على الرغم من كونها تصب كلها في وظيفة واحدة هي وظيفة التواصل.[8]

وتأسيسًا على ما سبق، يصنف فان ديك المعلومات إلى ثلاث أقسام : معلومات عامة ترتبط بالعالم أو بأي عالم ممكن، والمعلومات الموقفية التي ترتبط بما يتضمنه الموقف الذي يتم فيه التواصل، والمعلومات السياقية المستسقاة من الخطاب المتبادل سلفًا بين الشخصين المتواصلين، " ويتم تغيير المعلومات التداولية إما بالنظر إلى العلاقة القائمة بين المتكلم والمخاطب(تواصل علاقي)، أو بالنظر في فحوى الخطاب ذاته، في هذه الحالة الثانية، يكون القصد من الخطاب حمل المخاطب على القيام بفعل ما (تواصل توجيهي)، سواء أكان الفعل المطلوب عملا (تواصل أمري)، أم قولا (تواصل استفهامي)، كما يكون القصد منه الإخبار عن شيء (تواصل إخباري)، أو التعبير عن إحساس (تواصل تعبيري)[9]، أو استثارة إحساس(تواصل استثاري).

هذا، ويذكر بوبر(Popper) أربع وظائف للغة الإنسانية، وهي: الوظيفة التعبيرية(تعبير الشخص عن حالته الداخلية)، والوظيفة الإشارية(تبليغ الشخص الآخرين بمعلومات عن حالته الداخلية)، والوظيفة الوصفية(وصف أشياء العالم الخارجي المحيط به)، والوظيفة الحجاجية(تقييم الحجج وتبريرها). [10]

4- النص الأدبي تخاطب وتبادل:

من المعروف أن النظرية التخاطبية جاءت تطويرًا للنظرية التواصلية الابلاغية التي عجزت عن تفسير مجموعة من القضايا اللغوية بشكل جيد، لأنها كانت تتعامل مع التخاطب في معزل عن سياقها الفعلي والانجازي.

ويعني هذا أن " الدراسات التخاطبية تعد امتدادًا، واستكمالًا لجهود المدرسة الوظيفية، وتأتي هذه الدراسات نتيجة طبيعة لشعور المهتمين بها بإخفاق النموذج التقليدي للتخاطب في تقديم تفسير ناجح لعملية التخاطب.

ويمكن تلخيص أوجه الإخفاق فيه في كونه يتعامل مع التخاطب في عزلة عن السياقات الفعلية التي تستخدم فيها اللغة، ويصبغ عملية التخاطب بطابع مثالي تتجاهل فيه قضايا اللبس، والخروج عن المواضعات اللغوية، وقصر وظائف اللغة على عملية الإبلاغ، وإهمال الأصول التخاطبية المفسرة لمقاصد المتكلمين"[11].

وتذهب النظرية التخاطبية إلى أن النص الأدبي تخاطب وتداول يجمع بين أطراف ثلاثة هي: المرسل المتكلم الذي قد يكون كاتبًا أو مؤلفًا أو ساردًا أو شخصية، والمرسل إليه الذي قد يكون شخصًا مخاطبًا، كأن يكون قارئا أو متلقيًا أو شخصية مقابلة للشخصية المتكلمة، وهناك العنصر الثالث الذي يتمثل في الخطاب التداولي أو الرسالة المرسلة.

وبهذا تكون هذه النظرية قد مهدت لميلاد القارئ أو المتلقي أو المتقبل، وتكون من جهة أخرى قد أعطت نقطة انطلاق للنظريات التي تعنى بالقارئ المستقبل، كجمالية التلقي" ليوس وآزر"، وغيرها من النظريات.

وهكذا، فالنظرية التخاطبية تستوجب وجود ثلاثة أطراف: المرسل(الباث- المتكلم- المتلفظ- المرسل- المتحدث- المبدع) والرسالة(النص- الأدب- الخطاب- التلفظ...)، والمتلقي(القارئ- المرسل إليه- المستقبل- المتلفظ إليه)[12].

5- النص الأدبي أفعال كلامية:

إن النص الأدبي ليس مجرد خطاب لتبادل الأخبار والأقوال والأحاديث، بل يهدف عبر مجموعة من الأقوال والأفعال الإنجازية إلى تغيير وضع المتلقي، وتغيير نظام معتقداته، أو تغيير موقفه السلوكي من خلال ثنائية(افعل ولا تفعل)[13].

ويعني هذا أن الخطاب أو النص الأدبي، في مفهوم التداوليات التحليلية التي ظهرت في سنوات الخمسين من القرن العشرين مع" **أوستين**"[14]، كما في كتابه(نظرية أفعال الكلام)(1962م) ، **وسورل** في كتابه(أفعال اللغة) (1969م) ، عبارة أفعال كلامية تتجاوز الأقوال والملفوظات إلى الفعل الإنجازي والتأثير الذي يتركه ذلك الإنجاز.[15]

ومن هنا، تنبني نظرية الأفعال الكلامية على ثلاثة عناصر رئيسية هي:

- أولا فعل القول: ويراد به إطلاق ألفاظ في جمل مفيدة سليمة التركيب، وذات دلالة، تحمل في طياتها حمولات قضوية وإخبارية، ومن هنا تشتمل على مستوى" صوتي وتركيبي ودلالي"، مثل:" أشكرك يا علي".

- وثانيا الفعل المتضمن في القول: وهو الفعل الإنجازي، الذي يحدد الغرض المقصود بالقول، كصيغة الأمر في هذه الجملة:" انتظري اللحن الجديد "

- **وثالثا الفعل الناتج عن القول:** وهو ما ينتج عن القول من آثار لدى المخاطب إثر فعل القول، كإقناع المخاطب، وحثه، وإرشاده، وتوجيهه، أو تضليله...وتحضر هذه المستويات الثلاثة للفعل الكلامي جميعها في الوقت ذاته، وبدرجة متفاوتة، هي التي تجعل هذا الفعل الكلامي كاملا.

علاوة على ذلك، يميز **أوستين** بين الجمل الخبرية والجمل الإنجازية، وتتنوع هذه الأقوال الإنجازية إلى أقوال ظاهرة وأقوال مضمرة، فالأقوال الإنجازية قد تكون لها قوة حرفية، مثل: الاستفهام، والتمني، والأمر...وقد تكون لها قوة إنجازية حوارية وسياقية، مثل: الالتماس، والإرشاد، والتهديد، والتحسر...الخ.

ويعني هذا كله أن الفعل الكلامي ينقسم إلى ثلاثة أنواع: فعل القول، والفعل المتضمن في القول، والفعل الناتج عن القول [16]وقد لا يدل الفعل المتضمن في القول على دلالته المباشرة، بل يفيد معنى إنجازيا آخر غير مباشر يحدده سياق القول.

6- النص الأدبي مقصدية:

لقد اهتمت الدراسات التداولية، في بداية الأمر بالمتكلم باعتباره قوة عليا يمتلك سلطة متفوقة، إذ يوجه للمخاطب الذي يكون في مرتبة دنيا، مجموعة من الأوامر لتنفيذها بطريقة ميكانيكية، دون تردد أو مناقشة، كما هو حال الأوامر الدينية والعسكرية، ويسمى هذا بالتواصل التوجيهي.

لكن هناك من يرفض هذا التصور الميكانيكي، فيعتبر المقصدية قاسمًا مشتركًا بين كل من المتكلم والمتلقي، لا فرق بينهما إلا من باب الأخذ بزمام المبادرة. لكن هناك من يرى أن المقصدية قد يتحكم فيها المتلقي، فيجعل المتكلم في قبضة يده، فيتصرف فيه كيفمَا يشاء، ثم يضطر المتكلم إلى تكييف خطابه حسب رغبات المتلقي، بل قد يكون ناطقا بلسانه.[17]

وهكذا،" لم تخل كتابة من الإشارة إلى القصد والقصدية والمقصدية، ومما يفيد هذا المعنى، فالباحثون جميعهم يجعلون المميز الأساسي بين الإنسان وغيره هي المقصدية. ولكن هناك من قصرها على ما ورد فيه جذرها صراحة أو ضمنا(هرمان باريت(Parret)، ومنهم من جعلها مسبقة غريماس(Greimas)، كما أن منهم من جعلها ميكانيكية موجهة(أوستينAustin، وسورلSearle، وكرايسGrice).

بيد أنها لا تقتصر على المتكلم، ولكنها تشمل المخاطب أيضًا، ولهذا فقد تتفق المقصديتان درجات من الاتفاق، وقد تختلفان درجات من الاختلاف(نظرية التلقي)، مما أدى إلى طرح إشكاليتها الفلسفية والمنهاجية، باعتبار أنها غالبًا ما لا تكون ظاهرة في النص، وإنما يفترض أنها تكمن خلفه.

لذلك، بذلت محاولات لصورنتها (بتيطو Jean Petito/وأبو سطلLeo APS tel) للخروج بها من ميدان علم النفس إلى مجال اللسانيات، ومهما اختلفت وجهات النظر في كيفية تناولها- مجمع على وجودها، كأنها تكسب الكلام دينامية وحركة، بل هي منطلق الدينامية".[18]

7- النص الأدبي حجاج وإقناع:

تذهب التداولية الحجاجية إلى أن النص أو الخطاب عبارة عن روابط لغوية حجاجية، وخير من يمثل هذه المقاربة الحجاجية أوز والد دوكرو(Ducrot) الذي أدخل البعد التداولي ضمن الوصف اللساني، باعتباره أحد مكوناته الرئيسة

إلى جانب التركيب والدلالة على غرار شارل موريس، ويعني هذا أن البعد التداولي للملفوظ يوجد في اللغة نفسها، وليس مرتبطا بسياق تلفظي ما، ومن ثم، فالعلاقات الموجودة بين الملفوظات هي علاقة حجاجية، وليست منطقية استنباطية[19]، بمعنى أن القواعد الحجاجية هي التي تتحكم في ترابط ملفوظات النص، وتسلسلها في علاقاتها بمعانيها، وليست هي القواعد المنطقية والاستنباطية.

أي: أن الروابط الحجاجية هي التي تتحكم في اتساق النص وانسجامه، كالضمائر، وحروف العطف، والأسماء الموصولة، وأسماء الإشارة، وروابط الإثبات والنفي، والاستنتاج، والاستدراك...الخ.

ومن ثم يتحقق تواصل الملفوظات عبر أفعال الكلام، وليس عبر الصفات من جهة، وفهم الملفوظ يعني فهم أسباب تلفظه من جهة أخرى، ومن ثم اهتم دوكرو(Ducrot) كثيرًا بالروابط التعبيرية التي تخلق اتساق النص وانسجامه، واهتم كذلك بالتمفصلات اللغوية التي تساهم في خلق النص الحجاجي برهنة واستدلالا وترابطا وهيكلة.[20]

والغرض من هذا الحجاج هو الإقناع والتأثير والتداول والتواصل والتخاطب. ومن ثم، فالحجاج فعالية تداولية جدلية دينا منيكية فعالة، وهناك نوعان من الحجاج: حجاج عاد عند البلاغيين الجدد، يستعمل آليات وتقنيات بلاغية ومنطقية أي: مجمل الاستراتيجيات التي يستعملها المتكلم من أجل إقناع مخاطبة، وفي هذا المجال ارتبطت البلاغة الجديدة بالحجاج ارتباطا وثيقا، فاستعملت تقنيات البلاغة في عملية الإفهام والإقناع، وقد اهتم بها كل من بيرلمان(Perelman) وأولبريشت تيتيكا(Tyteka) في كتابهما (مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة)(1958م).

وقد ركز بيرلمان كثيرا على مبدأين رئيسيين: القصد والمقام، ويمكن الاستفادة من هذا التصور الحجاجي التقليدي، حيث يساعدنا على اكتساب خبرة منهجية دقيقة في تحليل نصوص ذات طبيعة حجاجية قوية، كالنصوص القضائية والسياسية والفلسفية، بناء على تصور تفاعلي بين الذات المتكلمة والمخاطبين.

وعلى الرغم من ميزات هذا التصور، فإنه يقصر الحجاج على بعض التقنيات والآليات البلاغية والمنطقية، وهو ما يدفعه إلى تقسيم الخطابات إلى خطابات حجاجية ذات طبيعة إقناعية، كالمناظرات والمجادلات الدينية والفلسفية والسياسية والقانونية، وأخرى غير حجاجية.[21]

8- النص الأدبي تفاعل:

ينبني النص الأدبي حسب النظرية التفاعلية على التفاعل، من خلال استحضار المتكلم والمتلقي اللذين يدخلان في علاقة تفاعلية دينامية إيجابية أو سلبية حسب منطق السلطة، والتفاوت الاجتماعي والمعرفي والطبقي، بيد أن السلطة التفاعلية قد يحوزها المتكلم، وقد يمتلكها المتلقي، وقد يشتركان فيها عبر التفاعل التضامني الإيجابي والتعاون التداولي المثمر.

وفي هذا الإطار، يقول محمد مفتاح:" نقصد بالتفاعل علاقة المرسل بمتلقيه، سواء أكان ذلك المتلقي فردًا أو جماعة، موجودًا بالفعل أو بالقوة، ومن شأن هذه العلاقة أن تسلب السلطة المطلقة من المرسل على إصدار خطابه بعجرفة أو لا مبالاة نحو الآخرين، وأن تدخله في دائرة القواعد الضمنية أو العلانية، وأن تجعله يكيف خطابه على قدر متلقيه ليحصل التفاعل، وكسب استمالة المتلقي ونيل رضاه.

ونظرية التكيف هذه تتيح لنا معرفة السبب في تلون خطاب مؤلف واحد، فقد يكون من عادة الإجادة واستعمال أساليب راقية وصور غريبة، ولكننا قد نفاجأ بغير ما هو معتاد منه، وليس من سبب رئيسي وراء ذلك إلا محاولة التكيف. على أن هناك اعتراضًا قد يطرح وهو:" إن هذا الذي قللتموه يصح في الخطاب التقليدي الروتيني الشعائري المخاطب للناس بما ألفوه، ولكنه لا يستقيم في الخطاب الأدبي العربي الحديث أو المعاصر القائم على مفاجأة المتلقي، وعلى تعتيم الطريق أمامه...ومع وجاهة هذا الاعتراض، فإننا نفترض أن كل خطاب جاد يهدف إلى عملية ربح المتلقي وكسبه إلى جانبه، والربح هنا كيفي، وليس كميا"[22].

وللتوضيح أكثر، فإذا كانت النظرية الابلاغية تهدف إلى نقل المعلومات، فإن النظرية التفاعلية تهدف إلى توطيد العلاقات الاجتماعية بين الطرفين المتحاورين تدعيمًا وتقويةً وتعزيزًا.

وفي هذا الصدد، يقول الباحث المغربي محمد خطابي:" يقصد بالوظيفة التفاعلية قيام شكل من أشكال التفاعل اللغوي بين فردين أو بين مجموع أفراد عشيرة لغوية، على أن هذه الوظيفة الثانية تكتسي صبغة خاصة باعتبار أنه لا يهدف من ورائها إلى نقل المعلومات، وإنما إلى تأسيس وتعزيز العلاقات الاجتماعية والحفاظ عليها، إضافة إلى ذلك، فهي تعبر عن هذه العلاقات الاجتماعية والآراء والمواقف الشخصية والتأثيرات المرغوب إحداثها في العقيدة أو الرأي أو ما شبه ذلك، فمن الطبيعي إذًا أن يهتم بهذه الوظيفة علماء الاجتماع وعلماء الاجتماع اللغوي ودارسُو التخاطب وأضرابهم"[23].

وعليه، يمكن دراسة النص الأدبي في ضوء "النظرية التفاعلية"، وخاصة حينمَا نريد مقاربة النص المسرحي، فحواراته تحمل في طياتها وظائف عدة، خاصةً ما يتعلق بالتخاطب والتفاعل بين الشخصيات داخل مقام تواصلي وسياق تداولي معين.

9- النص الأدبي استلزام حواري:

ترى المقاربة التداولية والوظيفية أن النص أو الخطاب الأدبي استلزام حواري وإنجازي، وهنا نتحدث بطبيعة الحال عن الدلالات الصريحة والضمنية، فالاستلزام الحواري يتعلق بالدلالات الضمنية التي يستلزمها السياق الكلامي.

ومن ثم يرتبط الاستلزام الحواري بنظرية الأفعال كما هي عند" **أوستين وسورل**" أي: ينتقل الكلام من نطاق حرفي وقضوي مباشر إلى معنى حواري استلزامي غير مباشر، ويتحكم فيه المقام أو السياق التداولي.

وللتوضيح أكثر: قد تكون معاني العبارات اللغوية صريحة، وقد تكون ضمنية. فالمعاني الصريحة هي التي تحمل محتوى قضويًا، وتتوفر على القوة الإنجازية الحرفية، فهذا معنى مباشر صريح.

أما المعنى الضمني فينقسم بدوره إلى قسمين : معنى عرفي يتعلق بالاقتضاء (الإحالة)، والاستلزام المنطقي(الدلالة المنطقية)، ومعنى حواري ينقسم كذلك إلى معنى خاص(الاستلزام الحواري)، ومعنى معمم. وينتج عن كل هذا وجود أنماط من الأفعال حسب" **أوستين**" ، وهي: فعل التلفظ، والفعل القضوي، والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري.

ففعل التلفظ يشمل الفعل الصوتي والفعل التركيبي، أما الفعل القضوي فيتفرع إلى الفعل الإحالي والفعل الحملي، أما الفعلان الإنجازي والتأثيري فلا يختلفان في مقترح" **سيرل**" عنهما في مقترح" **أوستين**" كبير الاختلاف، وقد اقترح" **سيرل**" كذلك أفعالا أخرى انطلاقا من نظرية الأفعال اللغوية، وصنفها في خمس: الأفعال الحكمية(تمثل الواقع صدقا أو كذبًا)، والأفعال الأمرية، والأفعال الإلزامية، والأفعال التعبيرية، والأفعال الإنجازية.

(24) بيد أن" **سورل**" يركز فقط على فعلين رئيسيين هما: الفعل القضوي، والفعل الإنجازي.

وبناء على ما سبق يرى **كرايس** أن جمل اللغة الطبيعية قد لا تدل على معانيها القضوية المباشرة والحرفية، بل تخرج إلى دلالات سياقية إنجازية، لذا صاغ قانون التعاون بمبادئه الأربعة: مبدأ الكم، ومبدأ الكيف، ومبدأ التعبير، ومبدأ المناسبة. ومن ثم، يسمي **كرايس** هذا النوع من الجمل الإنجازية التي تحمل معاني سياقية ضمنية بالاستلزام الحواري، ويتحقق هذا الاستلزام حينما تخرق إحدى القواعد الأربع، مع احترام مبدأ التعاون، ويدرج **كرايس** هذا النوع من الدلالة في تصنيف عام للمعاني التي يمكن أن تدل عليها العبارات اللغوية.

ويشرح الباحث اللغوي المغربي **أحمد المتوكل** ماقلناه سابقًا بقوله:" تنقسم الحمولة الدلالية للعبارة اللغوية إلى معان صريحة ومعان ضمنية، وتعد معاني صريحة المعاني المدلول عليها بصفة الجملة ذاتها، في حين تعد ضمنية المعاني التي لا تدل عليها بصيغة الجملة، وتشمل المعاني الصريحة ما يلي:

أ-المحتوى القضوي (معاني مفردات الجملة مضمومًا بعضها إلى بعض).

ب- القوة الإنجازية الحرفية (القوة الإنجازية المشار لها بصفة الجملة كالاستفهام والأمر والإخبار...).

- أما المعاني الضمنية صنفان: معان عرفية ومعان حوارية(أو سياقية).

تعد معان عرفية المعاني المرتبطة بالجملة ارتباطا يجعلها لا تتغير بتغير السياقات، في حين تعد معان حوارية المعاني التي تتولد طبقا للسياقات أو المقامات التي تنجز فيها الجملة.(25)

الخاتمة:

وخلاصة القول، نستنتج أن المقاربة التداولية هي التي تدرس النص في سياقها التخاطبي والتفاعلي والتحاوري بالتركيز على أفعال الكلام، وعمليات التخاطب والتفاعل، والتشديد أيضًا على الإحالة، والسياق، والمقصدية، والوظيفة، والتأويل والاستلزام الحواري...الخ.

بيد أن المقاربة التداولية من الصعب جدًا تطبيقها بكل سهولة ويسر على النص الأدبي التخييلي، نظرًا لتمرده عن المعيار، واتسامه بالتخييل والانزياح والتشويش والخرق، ومجانبة الحقيقة والصدق الواقعي.

وكما يعترف بذلك التدا وليون أنفسهم **"كسورل وأوستين وكرايس"** وغيرهم كثير...إلا أن هناك بعض الباحثين يرى عكس ذلك، كالباحث المغربي **"محمد مفتاح"** أنه بالإمكان تطبيق مفاهيم المقاربة التداولية على النص الأدبي مادام يتأرجح بين الواقع والتخييل.

كما أن نظرية الأفعال الكلامية يمكن استعمالها في مجال الأدب والنقد، ويمكن تشغيل غيرها من المفاهيم الوظيفية خاصة في مجال المسرح والسرديات.

ومهما تكن من تصورات مختلفة حول إمكانية تطبيق المقارية التداولية في مقاربة النص الأدبي، فإن هذا النص الخيالي والفني قد استفادة–فعلًا– من آليات المقاربة التداولية ولسانيات النص استفادة كبيرة، لا يمكن انكارها بأي حال من الأحوال، على الرغم من صعوبتها النظرية والتطبيقية.

وكما لا يمكن إطلاقا غض الطرف عن أهميتها، أو الحط من قيمتها، وتتمثل هذه الاستفادة بكل جلاء في كون المقاربة التداولية تنظر إلى النص الأدبي خطابًا، ووظيفة، وسياقا، وإحالة، وتأويلا، وحجاجا، وإقناعا، وتلفظا، واتساقا، ومقصدية وتخاطبا، وتفاعلا، واستلزاما حواريا.

ومن ثم، يتأرجح النص الأدبي، في جوهره، بين المعاني الحرفية والمعاني المجازية السياقية، ويجمع بين الأدوار النحوية والأدوار الدلالية والأدوار التداولية، وينتقل في سلمه التعبيري والحجاجي من التركيب والدلالة إلى التداول السياقي والمقامي.

وعليه، تعد التداوليات من أهم الآليات الإجرائية النظرية والتطبيقية التي تسعفنا في تحليل الخطاب تفكيكا وتركيبًا، أو دراسته فهما وتفسيرا وتأويلا، سواء أكان ذلك الخطاب المرصود لسانيا أم أدبيا أم نقديا أم فلسفيا أم منطقيا أم إعلاميا.

إذ لا يمكن الاستغناء، بأي حال من الأحوال عن البعد التداولي في دراسة اللغة الانسانية بصفة عامة، والخطاب الأدبي والنقدي بصفة خاصة.

قائمة المصادر والمراجع:

1-A.J.Greimas.J.courtes :sémiotique, Dictionnaire Raisonne de la théorie du langage , Hachette université ,paris ,1979,semiogie pp :335-339

2- فرانسواز أرمينيكو: **المقاربة التداولية**، ترجمة: سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،ط1، 1987م، ص:112.

3- راضية خفيف بوبكري: **التداولية وتحليل الخطاب الأدبي**، مجلة الموقف الأدبي: العدد399، 2004م ص: 15.

4- فاند ديك: **النص والسياق**، ترجمة: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب،ط1، 1999م، ص:230.

5- المرجع نفسه، ص:250.

6- محمد الحناش: **البنيوية في اللسانيات**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1980م، ص:189.

7- محمد مفتاح: **في سيمياء الشعر القديم**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب،ط1989،1م،ص:55

8- عبد الهادي بن ظافر الهشري: **استراتيجية الخطاب**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2004م، ص14:

9- أحمد المتوكل : **اللسانيات الوظيفية**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان،ط1، 2010م ص:55-56

10- عبد الهادي بن ظافر الهشري: **استراتيجية الخطاب**، المرجع السابق، ص:45

11-محمد محمد يونس علي: **مدخل إلى اللسانيات**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1،2004م، ص:98

12- حسين الوادي: **في مناهج الدراسات الأدبية**، منشورات الجامعة، المغرب، ط2، 1985م،ص:74

13-catherine kerbrat -orrecchioni :Enonciation de la subjectivité dans le langage, paris, armond colin, 1980,p181

14- J ,L, Austin : Quand dire, c'est faire, Edition du seuil,paris,1970,p195

15-John R. Searle :les actes de langage , collection , savoir Herman, paris, 1972,p :210

16- جون أوستين: **نظرية أفعال الكلام العام**، ترجمة: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ص: 140

17- محمد مفتاح: **دينامية النص**، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ص: 46

18- المرجع نفسه، ص: 38-39

19- عبد الله صوله: **الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته**، ضمن: أهم نظريات الحجاج، ص: 317

20- المرجع نفسه، ص: 352

21- رضوان الرقبي: **الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله**، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد2، المجلد40 اكتوبر – ديسمبر 2011م، ص85

22- محمد مفتاح: **دينامية النص**، المرجع السابق، ص 50- 51

23- محمد خطابي: **لسانيات النص**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991م،ص:48

24- أحمد المتوكل: **اللسانيات الوظيفية**، المرجع السابق، ص: 29- 30

25- المرجع نفسه، ص: 28